

برغم كل الصعاب: تطوير التنمية البشرية في غزة

أشكر سيدي الرئيس على ملاحظتك الدافئة؛ كما وأشكر أيضا جامعة بيرزيت، ومعهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية والبروفيسور هيكوك على دعوتهم للأونروا بتقديم الكلمة الافتتاحية في هذا المؤتمر الدولي الهام. إن المحور الذي يتركز عليه هذا المؤتمر قد جاء في وقته تماما، وذلك في الوقت الذي نقف فيه على أعتاب لحظة حاسمة قد يتشكل فيها أفق سياسي جديد.

تتمتع جامعة بيرزيت بسمعة معروفة ومستحقة على صعيد التفوق الأكاديمي. وباعتبارها المؤسسة الأولى للتعليم العالي في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فهي لا تزال مستمرة في تقديم إسهامات متميزة بحق في حقل التعليم والبحث في المجالات ذات الصلة بالقضايا الاجتماعية والسياسية. وتعمل جامعة بيرزيت بمثابة تذكير على المستويات التي يمكن للفلسطينيين، إن أتاحت لهم الفرصة، بأن يرتقوا إليها وعلى حرية الإبداع وحرية التصرف. إن محافظتها على التميز والتزامها به يعدان بمثابة تذكير بالرغبة الإنسانية نحو الحياة الطبيعية والتقدم برغم كافة الصعوبات، وهي أحد الموضوعات الرئيسية للأفكار التي أود أن أتشارك بها معكم هذا الصباح.

إن الفرصة المتاحة وحرية الإبداع وحرية التصرف هي النقيض الكامل لظروف الحرمان القسري التي تنبثق من احتلال الأراضي الفلسطينية. إن الاحتلال الذي يدخل الآن عامه الثالث والأربعين هو ظلم. وهو يمتزج مع الحالات الأخرى لظلم النفي منذ عام 1948 وآثار عقود طويلة من النزاع المسلح ليعطي الفلسطينيين واللاجئين الفلسطينيين مكانتهم التي لم يرغبوا بها بتاتا في التاريخ الحديث للمعاناة الإنسانية.

وفي هذا السياق، فإن غزة لديها طابعها المتميز، وهو طابع تشكل من سنوات عديدة في عيون الصراع. وفي الوقت نفسه، فقد أصبحت غزة تجسد المعاناة والتطلعات التي لم تتحقق بعد للشعب الفلسطيني. وفي الوقت الذي تكسرت فيه أزمة بعد أخرى حول غزة، فإن صورتها كمكان يائس وخطير قد تعززت إلى درجة أن العديدين يتبنون، بوعي أو بدون وعي، الخطاب الفج والذي يسعى لتبرير استبعاد غزة بوصفها مكانا دون متناول الخلاص والحل. وكما يصف عنوان مؤتمرنا هذا، فإن غزة وسكانها بالنسبة لكثير من بلدان العالم تعيش بشكل كبير "على الهامش".

والوضع الحالي يتناسب مع القالب الذهني المفروض. إن التخفيف الأخير الذي طرأ على القيود المفروضة على استيراد البضائع الاستهلاكية يعد تطورا مرحبا به وجلب بعض الفوائد لسكان غزة، حتى ولو أن دوره في تعزيز الاقتصاد الرسمي محدود ببعض القطاعات وأنه لا يصل إلى درجة حرية تدفق البضائع والأشخاص المنصوص عليها في الاتفاقية الموقعة في تشرين الثاني 2005 بشأن حرية الحركة والتحرك. أن معظم الفلسطينيين لا يزالون يعانون من ظروف قاسية من العزلة. والقليل منهم، إن كان يوجد أحدا منهم بالأساس، قادرون على تجنب آثار الخدمات العامة المشلولة والاقتصاد الرسمي المنهار والتهديدات الجسدية والنفسية جراء النزاع. إنه من البيدهي أن هناك حاجة لإجراءات إضافية وأكثر جرأة لفتح غزة على العالم، وتحديدًا على الضفة الغربية إضافة إلى القدس الشرقية لتشكيل دولة فلسطينية وذلك في الوقت الذي يتم العمل فيه على إعادة إحياء اقتصادها ووضع سكانها على طريق الانتعاش.

ويعد إغلاق حدود غزة السبب المباشر وراء الفقر المستشري؛ فمع وجود ما يزيد عن 60% من الغزيين يعيشون دون مستوى خط الفقر، وحوالي 40% منهم عاطلون عن العمل وثمانين بالمئة منهم يعتمدون على المساعدات الغذائية. ومع ذلك فأنتم تعلمون أن الإحصائيات لا تروي القصة الكاملة لشعب تبدو أحلامه وآماله قد تأجلت لوقت آخر.

إننا في الأونروا نرى آثار مأساة غزة عن كثب. ففي الشهر الماضي فحسب كان قياسنا لمعدل الفقر المدقع يتجاوز 30% بين الطلاب في أكثر من 100 مدرسة من مدارسنا التي يبلغ عددها 221 مدرسة. وكما يبدو ذلك الرقم قاسيا ومؤلما للغاية، فإنها حقيقة أن أولئك الأطفال يأتون لصفوفهم وهم جوعى ومعتمدون على برنامجنا للتغذية المدرسية من أجل الحصول على الطاقة التي يحتاجون إليها للتعليم وللنمو.

لذا، نعم إن غزة لا تزال تعاني. إلا أن غزة معقدة منطقة غنية بالتعقيدات وبأبعاد مختلفة. إن السؤال الذي ينبغي أن نسأله لأنفسنا -- مع الأخذ بعين الاعتبار أنه سيكون شاقا بالفعل معالجة المشاكل التي يعاني منها القطاع -- هو فيما إن كنا قادرين على ترك غزة على الهامش الذي تقع عليه حاليا مفضلين أن نحول اهتمامنا ومواردنا للآخرين ممن لديهم قضايا أقل إيلا ما أو أقل عسايانا على الحل؟ وهل نحن قادرون على النظر نحو الاتجاه الآخر في الوقت الذي لا تزال فيه هذه المدينة المتوسطة وسكانها البالغ عددهم مليوناً ونصف المليون محرومون من الاندماج في التفاعل العادي مع العالم؟ وبعبارة أكثر صرامة، هل غزة تستحق أن نبذل جهودنا من أجلها أو هل نحن جريئون بما فيه الكفاية لنعلن أنها قضية خاسرة؟!

وباعتباري ممثلاً للمنظمة التي قامت طيلة 61 عاماً على حمل العالم بالالتزام بالوقوف إلى جانب الملايين من اللاجئين الفلسطينيين، فإنني أجيب بعبارة "لا وبكل تأكيد" على كل واحد من تلك الأسئلة وأؤمن بقوة بأن هذه هي الاستجابة الصحيحة، ليس فقط للأونروا بل وأيضاً للمجتمع الدولي، وتحديداً في هذه اللحظة الحاسمة التي قد تؤثر التطورات السياسية تأثيراً إيجابياً وكما نأمل جميعنا على واقع اللاجئين في الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها غزة. وإنني لعلى ثقة من أنه ينضم إلي في هذا الإيمان كافة أولئك الذين يتشاركون بالتطلعات نحو السلام والكرامة الإنسانية للجميع. إنني أقول هذا من وجهة نظر ومنظور اللاجئين الفلسطينيين والأونروا، وهي وجهة نظر محددة للغاية، إلا أنها تتواءم تماماً مع فحوى هذا المؤتمر ولها قيمة بالمساهمة بأفكار حول الوضع في غزة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن أكثر من حوالي 70% من سكان غزة هم من اللاجئين الذين ينحدرون من فلسطين الانتداب. كما أنني أؤمن بأن آراء الأونروا وتجربتها يمكن أن تقدم غذاءً فكرياً نافعا لنقوموا بالتداول فيه، لأسباب ليس أقلها أن تركيزنا على التنمية البشرية وأن تقديمنا للخدمات للاجئين مباشرة يمنحنا رؤية فريدة وحميمية لأرض الواقع يشكل جوهرها علاقة الثقة مع مجتمع اللاجئين.

وعلى مر عقود من التفاعل الشامل مع اللاجئين على أرض الواقع، فإننا نستند إلى مورد نعترف بأنه المكون الجوهري لعملنا في مجال التنمية البشرية. وأشير هنا إلى قوة الروح الفلسطينية، ذلك العنصر الإنساني الذي يشجع الناس على الطموح والإجاز، بغض النظر عن ظروفهم ويرغم كافة الصعاب التي أقل ما يقال عنها أنها مربكة. ولو نظرنا في الاتجاه الآخر، فإنه لربما تكون تلك الصعوبات المربكة التي تواجه غزة هي السبب في أن سكانها قد قاموا بتنمية طاقة إيجابية تظهر آثارها في العديد من الطرق البناءة. وليس ذلك لمجرد الثناء فحسب: فهناك حراك اجتماعي خاص في غزة، والأونروا تلمسته وتلمست إمكاناته مرات ومرات من خلال العمل مع اللاجئين القادرين من خلال القليل من المساعدة على بناء احتياطاتهم الخاصة لبناء حياة أفضل لأنفسهم ولعائلاتهم. أو استلهمته من خلال التعطش للتعليم ونضوج الشخصية الذين نراها لدى الأطفال في مدارسنا، والقدرات المؤسسية التي يظهرها عملاؤنا المستفيدون من القروض الصغيرة. هذه الخصائص المميزة، وأقولها بافتخار، يجسدها يومياً العاملين مع الأونروا والذين يعملون بلا كلل لتحسين ظروف مجتمعاتهم. وفي هذه المجالات والعديد غيرها، فإن العامل البشري يبقى القوة الدافعة للعمل التنموي. باختصار فإن أهل غزة وقدراتهم الاستثنائية الذين يجعلون من ذلك أمراً ممكناً.

وإذا ما كان حراك غزة يقودها نحو تنميتها البشرية، فإن نفس الحراك يستفيد من الإسهامات التي تقدمها منظمات الإغاثة والمنظمات التنموية الأخرى والتي ستبقى على عملها حتى يتم الانتهاء من الصراع والإغلاقات

وتبعاتهم المترابطة وحتى يتم تسوية الخلافات الداخلية وقيام الدولة الفلسطينية بالكامل. المنظور، إن الدعم الدولي سيبقى مطلباً حاسماً في الاستجابة للكبير من التحديات التي يواجهها القطاع.

إن أحد المواضيع التي تعمل على التعريف بالهوية العملية للأونروا تتمثل في تركيز الوكالة على خلق فرص للاجئين وتعزيز قدرتهم على انتهاز تلك الفرص. قد يكون من المفيد مع افتتاح مؤتمركم هذا مشاركتكم بعض الدروس ضمن هذا الإطار. إن لدينا الرؤية بأنه في صميم ولايتنا تكمن حتمية الاستثمار في اللاجئين كأشخاص، والاستثمار بطرق تمكنهم من تطوير إمكاناتهم بالرغم من القيود المفروضة وبالرغم من النفي والصراع. إن هذا النهج لهو في صميم ما تعنيه عبارة "التنمية البشرية" بالنسبة للأونروا. لقد كان ذلك واضحاً عند بداية عمليات الوكالة ويتجلى على وجه التحديد بالاستثمار الضخم في الأطفال من اللاجئين عبر برنامج التعليم الذي يعد أكبر برامجنا والذي يرمز إلى ما تمثله، وتستمر بتمثيله، الأونروا لأجيال من اللاجئين. إن برنامجنا التعليمي هو تعبير عن الاعتراف بإمكانات اللاجئين الفردية وتعزيزها في اتجاهات تتماشى مع قيم الأمم المتحدة في التسامح حيال التنوع واحترام الآراء المختلفة والحل السلمي للنزاعات واحترام حقوق الإنسان والكرامة للجميع بدون أي تفرقة واحترام سيادة القانون.

إنني أجزم أن الوضع في غزة وبالرغم من الوضع المأساوي والمتواصل يحمل في طياته دروساً هامة يجب الاستفادة وهي مقارنة تضع الأفراد في مركز التداخلات ويركز على إعطائهم أية مساعدة يمكننا إعطاؤها في الوقت الذي يناضلون فيه لتحسين حياتهم ومجتمعاتهم، ومن خلالها تحسين المنطقة. إن هذا شبيه جداً بنموذج الأمن الإنساني؛ وهو يبدأ يؤثر على السياسة الخارجية للعديد من البلدان وهو وثيق الصلة بالشرق الأوسط. إن هذا المبدأ يؤمن بأن ضمان الحاجات الأساسية للأفراد ومساعدتهم على النمو وتحقيق إمكاناتهم يمكن أن يعمل على تحسين حياة الناس وفي نهاية المطاف التقليل من النزاعات. وينتمي التعليم بطبيعته الحال إلى عالم التنمية. إن تجربتنا في غزة، بل وأيضاً في الضفة الغربية ولبنان وغيرها من الأماكن، قد علمتنا أن التعليم الجيد هو أيضاً وبشكل رئيسي اهتمام استراتيجي للمجتمع الدولي.

ولو أخذ ذلك إلى جانب تركيزنا على اللاجئين كأفراد، فإن مواضيع الخدمات النوعية وخلق الفرص تعمل على تأسيس الفكرة المهيمنة للوكالة التي، بالرغم من أنها تدرك تماماً الصعاب التي تتكبد في وجه اللاجئين في غزة وغيرها من الأماكن، تفهم من التجربة بأن قياس التنمية البشرية يمكن تحقيقه على الرغم من ذلك، وتبقى ثابتة في سعيها لتحقيق ذلك الهدف.

إن عمل الأونروا في غزة يقدم العديد من الأمثلة المميزة لكيفية تماثل الخدمات النوعية والفرص المتاحة للاجئين بتعزيز بعضها البعض وبيانات ذلك على الصعيد العملي. إن برنامج مدارس التميز يعد مثلاً ساطعاً؛ فهو قد نتج عن الاعتراف بأن سنوات من نقص التمويل التي ترافقت مع آثار الاحتلال وآثار إغلاق الحدود كانت تعمل على تهديد أسس التعليم لما يزيد عن 200,000 طالب وطالبة في مدارس الأونروا. لقد انعكس هذا الوضع الخطير وبشكل دراماتيكي في معدلات الرسوب المروعة للطلبة والتي كشفت خلال الاختبارات المستقلة التي أجريت في العام الدراسي 2006-2007.

لقد شاهدت شخصياً تلك المبادرات التعليمية وهي تجري في الصفوف الدراسية في مختلف أرجاء غزة. إن تلك المبادرات بمثابة وحي، وكدليل على قيمتها الإنسانية، والنابعة من تفاني العاملين لدي الأونروا فقد أصبحنا نرى أن نتائج بعض الاختبارات للطلبة قد بدأت بالانتعاش مع الأخذ بعين الاعتبار أن أولئك الطلبة يقومون بحل فروضهم المنزلية تحت ضوء الشموع بسبب الانقطاعات اليومية للتيار الكهربائي، أو يعيشون في منازل عملت النزاعات المسلحة والفقر واليأس على تغذية العنف المنزلي والصدمات. إن العديد من البالغين تقهروهم نفس تلك الصعوبات التي يناضل أطفال غزة بشجاعة في مواجهتها. ولهذا السبب بالذات من الضروري أن نستمر بتقديم الدعم لهم.

وهناك أمثلة رئيسة أخرى على الابتكار وعلى تأسيس فرص حقيقية للاجئين في غزة. إن برنامج "المساواة في العمل" التابع للأونروا مصمم من أجل تحسين مقدر المرأة على ممارسة حرية الاختيار، وعلى انتهاز الفرص

من أجل التطور المهني على الصعيد الشخصي وصولاً إلى معالجة التمييز المبني على النوع الاجتماعي وانعدام المساواة على كافة المستويات في الحياة الاجتماعية والاقتصادية. إننا نعمل على دعم سبل وصول المرأة لسوق العمل، بما في ذلك من خلال الاستفادة من الخدمات المقدمة من قبل خدمات التمويل الصغير في الأونروا. ونحن نعمل على رفع الوعي بالعنف المنزلي ونقدم النصح والإرشاد لتعزيز مقدرة المرأة على التكيف مع هذه الظاهرة. كما أننا نوفر للنساء مساحات من أجل التفاعل الاجتماعي والترفيه وتعزيز حق المرأة بحرية الرأي والتعبير عن الذات وذلك من خلال دعم محطة إذاعية مخصصة للمرأة.

وهناك مثال آخر يتمثل في برنامجنا للألعاب الصيفية الذي اجتذب في عام 2010 ما يقارب من 250,000 طفل للنشاط الترفيهي واسع النطاق والوحيد المتوفر للأطفال غزة الذين ترك النزاع ندوباً عليهم. لقد انتعشت الرياضة والفنون والحرف اليدوية ومسرح الأطفال في تلك الألعاب. وقد أظهرت أن أطفال غزة، في داخلهم، مثل الأطفال في نيويورك أو بكين أو القاهرة، وذلك خلافاً لتلك الانطباعات السائدة في الخارج.

وهذه ليست سوى أمثلة قليلة على كيف أن اللاجئين الذين نقوم على خدمتهم قادرون على النظر إلى ما وراء قسوة الظروف الفورية في غزة وعلى التركيز، برغم كل الصعاب، على تعزيز فرص العمل وسبل المعيشة المستقلة للاجئين، وزيادة تعلمهم وتطويرهم الذاتي، والعمل على توسيع خيارات الحياة للأفراد في مواجهة الظروف القاسية.

وبسبب الاحتلال العسكري وتفشي العنف وما يزيد على عقد من فرض سياسة الحدود المغلقة، لا يزال سكان غزة يعانون من مصاعب جمة في وجه الحياة الطبيعية. ومن بين أكثر تلك المصاعب وضوحاً تتمثل ببطء عملية الإصلاح وإعادة بناء الدمار الذي حدث خلال الحرب الأخيرة على غزة وسنوات الصراع والإغلاقات. إن الأمم المتحدة، بما في ذلك الأونروا، لديها خطط واسعة لإعادة إعمار غزة. وقد أصيبت تلك الخطط بالشلل لسنوات نتيجة منع استيراد مواد البناء. لقد كان لذلك عواقب سلبية متعددة. ودعوني أذكر هنا، على سبيل المثال، أثراً واحداً خلفته على التعليم: إن لدينا تصريحا ببناء عدد محدود جداً من المدارس المئة التي يحتاج إليها اللاجئون في غزة؛ وفي هذا العام لم نتمكن من استيعاب ما يقارب من 40,000 طفل لاجئ بسبب نقص الأماكن، وستتفاقم المشكلة بسبب متوسط الزيادة السنوية للطلاب بين مجتمع اللاجئين والتي تبلغ 8,000 طالب. إننا مضطرون للجوء لنظام "الفترتين الورديتين" في جميع مدارسنا في غزة تقريباً، بحيث يكون هناك مدرسة واحدة في الصباح ومدرسة أخرى بعد الظهر. وسيكون علينا الآن البدء بنظام الفترات الثلاث، أو القيام بإنشاء المزيد من المدارس عبر تحويل حاويات الشحن إلى مدارس مؤقتة، وحالياً توجد لدينا مدرسة واحدة كنتلك في غزة يدرس فيها 850 طفلاً.

إن التخفيف الحالي للحصار لهو أمر مرحب به للغاية ويستدعي التأكيد عليه مرة أخرى. ومع ذلك، فإن الوضع لا يزال صعباً جداً، حيث أن معظم المواد اللازمة من أجل إعادة البناء لا تزال خاضعة لإجراءات الاستيراد المرهقة ونقاط العبور التي تتوفر فيها تسهيلات لا تتناسب البتة مع أية حركة تدفق كبيرة من السلع. وبدعم من المجتمع الدولي والسلطة الفلسطينية فإن الأمم المتحدة مستمرة بالتفاوض مع السلطات الإسرائيلية من أجل الموافقة على مشاريع إعادة الإعمار. وعلى الرغم من أنه قد تم منح العديد من الموافقات الآن، وأنه قد تم رفع سوية القدرة اللوجستية، إلا أن الاحتياجات الكلية لا تزال بعيدة عن أن يتم الوفاء بها، وخصوصاً لإعادة الإعمار وللقطاع الخاص. وفي الوقت الذي نقر فيه بحق إسرائيل في الأمن، فإننا سنستمر بالضغط على السلطات الإسرائيلية من أجل توسعة نطاق وكميات السلع المعدة للاستيراد إلى غزة، وفي الوقت نفسه الإصرار على أن لا يتم التخفيف من الحصار فحسب بل وأن يتم العمل على وضع نهاية له. ومع ذلك، وفي الوقت الذي نؤمن فيه بفعل ذلك، فإنه علينا أن لا ننسى بأن هناك قضايا سياسية معقدة وعالقة تكمن في جذور المشكلة. إن أفضل الحلول اللوجستية لن يكون قادراً على حل المشكلة السياسية الماثلة أمامنا.

سيداتى وسادتى،

ذلك يقودنى إلى نقاطى الختامية. يتحمل المجتمع الدولى المسؤولية عن اللاجئين الذين هم، كأفراد لا يتمتعون بحماية دولة، وبحاجة إلى مساعدة المجتمع الدولى وذلك مثلما هو منصوص عليه فى القانون الدولى والأعراف القانونية. إن هذا التعريف المحدد للاجئين، ومسؤوليتنا بالعمل، هما اللذان يذكراننا بأنه لم يكن من المفترض لهم على الإطلاق بأن يكونوا لوحدهم عند القيام بإعالة احتياجاتهم.

وفى ملاحظتى التى ذكرتها لغاية الآن، قمت بعرض استجابة الأونروا للسؤال الذى يقول "هل نحن قادرون على أن نترك غزة على الهامش؟" لقد أجبت على ذلك السؤال بالنفى وبينت كيف تقوم الأونروا والوكالات الأخرى، وبالرغم من كل الصعاب ومع الاستفادة من القدرة الاستثنائية للفلسطينيين على البقاء ومواجهة الصعاب، وبمساهمة المجتمع الدولى على تذليل الصعاب. وعلى أية حال، فإنه من المهم أن نذكر أنفسنا بأن ولاية تلك المنظمات فى المجالات الإنسانية ومجال التنمية البشرية والحماية، ليست الوحيدة التى تقوم بحمل الواجب فيما يتعلق بالسكان فى غزة.

ومن المهم على وجه التحديد الاعتراف بأن الاحتياجات الإنسانية واحتياجات التنمية البشرية، على ضرورتها، لهى مجرد جزء واحد من مسؤولية المجتمع الدولى تجاه تلك الاحتياجات. لقد ساهم المجتمع الدولى بشكل كبير من أجل غزة، ويمكن (بل ويجب) عمل الكثير جدا فى الوقت الذى يخف فيه الحصار أكثر وصولاً إلى إنهائه المرجو. إلا أنه أكثر أهمية القيام بمعالجة السبب الجذري لتلك الاحتياجات، وعلى وجه التحديد حيث تتقاطع احتياجات وهموم اللاجئين والآخرين مع الواقع السياسى وترتطم بالأسئلة الأكبر التى تواجه الفلسطينيين وتواجه السعى نحو السلام.

وفى حيث أن الأونروا وبشكل واضح ليست لاعبا سياسيا وليست منخرطة فى المفاوضات التى نأمل أن تعمل على حل النزاع وما حل باللاجئين على حد سواء، فإنه من واجب الوكالة ضمان أن أولئك المنشغلون بهذه النقاشات الهامة والمتقاطعة يضعون فى حساباتهم نقطتين هامتين أود أن ألفت نظركم إليهما فى الوقت المتبقى لى للحديث.

النقطة الأولى هى المصالحة بين الفلسطينيين. إننى أعي بالكامل بأن عملية المصالحة ذاتها هى بيد اللاعبين السياسيين لاحتضانها ودعمها. وبالرغم من ذلك فإن ردم الاختلافات الفلسطينية له تداعيات ايجابية على مصلحة ومستقبل اللاجئين الفلسطينيين وعلى القطاعات الفلسطينية المتضررة الأخرى. وإننى أناشد من أجل أن تتم استعادة الوحدة الفلسطينية، ومن هذا المنطلق أطلب وبالخاصة أن لا تبقى مصلحة غزة رهينة بالسياسة. واخفق فى دورى، بصفتى ممثلاً لوكالة اللاجئين الفلسطينيين، إن لم أنقل لكافة من لهم مصلحة فى السلام الإقليمى رسالة بسيطة وواضحة والتى يسمعها المعلمون والأطباء والعاملون الاجتماعيون لدينا يوميا فيما هم يقومون بعمل الأونروا داخل المجتمعات المحلية فى غزة، بل وفى الواقع داخل كافة مجتمعات اللاجئين الفلسطينيين فى المنطقة.

والنقطة الثانية هى السلام واللاجئون الذين يرتبط مصيرهم به. وحيث أن اللاجئين قد حل بهم ما حل بهم عام 1948 وأنهم موجودون نتيجة لذلك النزاع، فإن المنطق يحدد أن معالجة محتهم تعد شرطا مسبقا لحل النزاع. إن الدرجة التى يتم فيها معالجة حقوق وخيارات اللاجئين فى التسوية التفاوضية ستؤثر على مصداقية التسوية. إن اللاجئين دائرة هائلة من حيث حجم السكان والتوزيع الجغرافى الواسع والحضور البارز فى منطقة مضطربة. إنه لأمر حاسم أن نضع فى الاعتبار أن علينا، فى النقاشات الصعبة التى من المؤمل أن تؤدى إلى انتهاء النزاع والذي سيكون إيجاد حل عادل لمعاناتهم جزءا منها، أن نضمن أن يبقى اللاجئين ضمن الإطار المساهم بشكل بناء فى جهود العثور على حلول. وللاجئون حصة ودور كبيرين فى المستقبل الفلسطينى الإسرائيلى. إن إشراكهم سيؤدى إلى ضمان أن العملية ستستفيد من ثروة الأفكار التى لديهم ليقوموا بطرحها. إن هذا بدوره سيقدم فوائد هامة فى تعزيز مصداقية وديمومة عملية السلام. وسأعيد هذه العبارة لأنها هامة:

إن اللاجئين الفلسطينيين هم الواقع الذي لا يمكن تحمل تجاهل دورهم وجهودهم الحقيقية والهامة في صنع السلام.

ولهذا كله فإنه ينبغي أن لا يتم تجاهل اللاجئين الفلسطينيين، وذلك يتماشى مع الحاجة إلى نبذ عادة تهميش غزة وإبقاؤها في دائرة الظل. إننا نناشد من أجل جهود حقيقية للمساعدة في إعادة الحياة الطبيعية إلى غزة، مدركين تماما أن التحديات شاقّة بالفعل. إن الوضع القائم الذي يحيط بغزة قد يكون هائلا، إلا أنني أطلب منكم أيضا أن تنضموا إلينا في الإصرار على أنه تتوفر بين أيدينا الوسائل الكفيلة بتبديده.

إن دعوتي اليوم قابلة للتحقيق. دعونا نفعل كل ما بوسعنا من أجل إعطاء الفلسطينيين واللاجئين الفلسطينيين الفرص لتحقيق إمكاناتهم الهائلة؛ والحرية لكي يبنوا لأنفسهم مستقبلا من الكرامة والازدهار؛ والحرية في اتخاذ خياراتهم الخاصة وذلك في الوقت الذي يؤمل أن يكون قد تم فيه اتخاذ الخطوات المطلوبة نحو إنشاء الدولة الفلسطينية.

أشكركم.

International Conference
Gaza-Palestine: Out of the Margins

Bir Zeit University, 1 October 2010

Keynote address by Filippo Grandi, UNRWA Commissioner-General

Against all Odds: Advancing Human Development in Gaza

I thank you, Mr. President for your warm remarks. I also thank Birzeit University, the Ibrahim Abu-Lughod Institute of International Studies and Professor Heacock for inviting UNRWA to give the keynote address at this important international conference. The focus is very timely, as we are perhaps at a crucial moment when new political horizons may well be shaped.

Birzeit University's reputation for academic excellence is well known and well-deserved. As the first institution of higher learning in the occupied Palestinian territory, it continues to make truly outstanding contributions in socially and politically relevant teaching and research. Birzeit serves as a reminder of the heights Palestinians can achieve if given the opportunity, the freedom to create and the liberty to act. Its perseverance and commitment to excellence are also a reminder of the human desire for normality and progress against all odds – one of the key themes of the thoughts I would like to share with you this morning.

Opportunity, freedom to create, and the liberty to act – these are the diametrical opposites of the conditions of enforced deprivation that flow from the occupation of Palestinian land. The occupation is now entering its forty-third year. It blends with the other injustices of exile since 1948 and the effects of decades-long armed conflict to give Palestinians and Palestine refugees their unwanted place in the modern history of human suffering.

Within this context, Gaza has its own distinctive character, one that is forged from so many years in the eye of the conflict. At the same time, Gaza has come to embody the suffering and the yet unfulfilled aspirations of the Palestinian people. And as crisis after crisis have broken around Gaza, its image as a forlorn and dangerous place has been reinforced to a point where, consciously or not, many embrace the self-fulfilling rhetoric that seeks to justify its exclusion as a place beyond salvation. As the title of our conference puts it, for much of the world, Gaza and its people are very much “in the margins”.

The current situation fits the mould. The recent easing of restrictions on the importation of consumer goods is a welcome development and has brought some benefit to the people of Gaza, even if the boost to the formal economy is limited to a few sectors and falls far short of the free flow of goods and people envisaged in the November 2005 Agreement on Movement and Access. Most Palestinians, however, still face harsh conditions of isolation. Few, if any, can avoid the effects of paralyzed public services, a collapsed formal economy, and the physical and psychological threats from the conflict. It is self-evident that further, bolder measures are needed to open Gaza to the world and in particular to the West Bank with which it is intended, along with East Jerusalem, to form a Palestinian state, while reviving its economy and placing its people on the road to recovery.

The closure of Gaza’s borders has been the direct cause of debilitating, widespread poverty. Over sixty percent of Gazans live below the poverty line, some forty percent are unemployed, and eighty percent rely on food handouts. And yet we know that the statistics do not tell the whole story of a people whose dreams and hopes seem to have been deferred to a later time.

We at UNRWA see the effects of Gaza’s ordeal up close. Just last month we measured an abject poverty rate of more than 30% among pupils in UNRWA schools. Outrageous as it may seem, it is a fact that these children come to their

classrooms hungry, relying on our school feeding to provide the energy they need to learn and grow.

So, yes, Gaza is still suffering. But Gaza is complicated in every dimension in a region rich in complexities. The question we must ask ourselves – given that it will be arduous, indeed, to address Gaza’s problems – is whether we can afford to leave Gaza in the margins where it presently lies, preferring to direct our attention and resources to other, less thorny or intractable issues? Can we afford to look the other way while this large Mediterranean community and its 1.5 million people remain locked out of the mainstream of normal interaction with the world? To put it starkly, will we declare it a lost cause?

As representative of the UN organization which for 61 years has carried out the world’s commitment to stand by millions of Palestine refugees I say, “Certainly not!” to each of these questions and firmly believe that this is the right response not only for UNRWA but also for the international community, in particular at this crucial moment when political developments may affect, hopefully for the better, the reality in the occupied Palestinian territory, including Gaza, for refugees and other Palestinians. I am sure I am joined in this belief by all who share the aspirations of peace and human dignity for everybody. I say this from the standpoint and perspective of Palestine refugees, and of UNRWA – a specific point of view, but one that fits well with the thrust of this conference and has value for contributing insights into the situation in Gaza, given that around 70% of Gaza’s population are refugees from Mandate Palestine. I also believe that UNRWA’s views and experience can provide useful food for thought to your deliberations, not least because our focus on human development and our delivery of services directly to refugees provide us with a uniquely close view that is informed by a relationship of trust and confidence with the refugee population.

Through decades of extensive interaction with refugees on the ground, we have drawn on a resource which we recognize as the very foundation of our human

development work. I refer here to the strength of the Palestinian spirit - that human element which emboldens people to aspire and achieve, regardless of their circumstances and against odds that are seemingly overwhelming. Seen in a different way, it is perhaps because of the overwhelming difficulties facing Gaza that its people have developed a positive energy, which manifests itself in so many constructive ways. I say this not as mere praise: there is a social dynamism that is special in Gaza. UNRWA – and I - have encountered it, and its potential, time and time again – working with refugees who with the minimum of support are able to build their own reserves to create better lives for themselves and their families; or inspired by the thirst for learning, and maturity of character, that we see in the children in our primary schools; or awed by the entrepreneurial abilities displayed by our microfinance clients. Such qualities, I say with pride, are also demonstrated on a daily basis by the UNRWA staff working tirelessly to improve their community. In these and in many other ways, we have learned that the human factor remains the driving force of development work. In short, it is the resilient people of Gaza that make this development possible; against all odds.

If the dynamism of Gaza drives its human development, that same dynamism must continue to benefit from the contributions of relief and development organizations. It is important and positive that the reconstruction of Gaza is clearly a priority of Palestinian state building. However, until the compounded effects of conflict, closures and internal political divisions are eliminated, and until a Palestinian state is fully established and normal development mechanisms restored, international support will remain a critical requirement in responding to the enormity of the challenges of Gaza.

A defining theme of UNRWA's operational identity is the Agency's focus on creating opportunities for refugees and strengthening their ability to seize them. It may be useful, in opening this conference, to share a few lessons in this respect. We take the view that at the heart of our mandate is the imperative of investing in refugees as people – investing in ways that enable them to develop

their potential in spite of the constraints imposed by exile and conflict. This approach is at the core of what “human development” means for UNRWA. It was evident at the outset of the Agency’s operations and is exemplified particularly by the massive investment in refugee children through primary education, our largest programme and one that symbolizes what UNRWA represents - and continues to represent - for generations of Palestinians. Our education programme aims to recognize the potential of individual refugees and nurture them in directions consistent with United Nations values: tolerance for diversity and opposing views; peaceful resolution of disputes; respect for the human rights and dignity for all without any distinction; and respect for the rule of law.

I believe that in the situation of Gaza – desperate and protracted as it may be, and even more so because of that – important lessons can be learned from an orientation that puts individuals at the centre of interventions and focuses on lending them what assistance we can as they strive to improve their lives, their communities; and, through them, the region. This is very similar to the paradigm of human security; a concept influencing the foreign policy of many States and which is relevant to the Middle East. This concept holds that ensuring the basic needs of individuals and helping them grow and realize their potential can both improve people’s lives and ultimately reduce conflict. Education belongs of course to the realm of development. Our experience in Gaza – but also in the West Bank, Lebanon and elsewhere – has taught us that fulfilling the right to a good quality education is also, and fundamentally, a strategic interest of the international community.

Taken together with our focus on refugees as individuals, the themes of quality services and creation of opportunities constitute the *leitmotiv* of an agency which, though fully cognizant of the odds stacked against refugees in Gaza and elsewhere, understands from experience that a measure of human development is nevertheless attainable, and remains firm in the pursuit of that goal.

UNRWA's work in Gaza offers many compelling instances of how the themes of quality services and opportunities for refugees reinforce each other and are demonstrated in practice. The Schools of Excellence programme is a prime example. It was borne from a recognition that years of underfunding coupled with the effects of the occupation and the impact of border closures, were threatening the very foundations of learning for the over 200,000 refugee children in UNRWA schools in Gaza. The threat was dramatically reflected in shocking failure rates revealed through independent testing in the 2006-2007 school year.

I have seen these educational initiatives played out in classrooms throughout Gaza. They are a revelation, and as proof of their human value and of their dedicated teachers, we are seeing student test scores begin to rebound. Take into account that these children are doing homework by candlelight because of daily electricity cuts, or live in homes where armed conflict and poverty and despair have fueled domestic violence and trauma. Many adults are overcome by the same hardships that Gaza's children are struggling bravely to confront. It is imperative that we continue to support them.

There are other key examples of the innovation and construction of real opportunities for refugees in Gaza. UNRWA's "Equality in Action" programme is designed to improve the capacity of women to exercise freedom of choice, to take advantage of opportunities for personal professional development and ultimately to address gender discrimination and inequality at all levels of social and economic life. We are supporting women's access to the labour market, including through leveraging the services offered by the agency's microfinance services. We raise awareness of domestic violence, offering advice and counseling to promote women's capacity to cope with the phenomenon. We provide women with spaces for social interaction and recreation and foster, through support for a radio station for women, their right to freedom of opinion and self expression.

And another example is our Summer Games activity, drawing, in 2010, almost 250,000 of Gaza's conflict-scarred children to much needed recreational activities. Sports, arts and crafts, and student theatre thrive in these Games. They reveal that children in Gaza (contrary to perceptions of many on the outside) are just like children in New York, Beijing, or Cairo.

These are just a few instances of how the refugees we serve are able to look beyond the harshness of the immediate circumstances in Gaza and to focus, against all odds, on promoting independent livelihood opportunities for refugees, maximizing their learning and self-improvement, and working to expand the life choices of individuals in the face of severe conditions.

Due to military occupation, outbreaks of violence and over a decade of closed borders, Gazans continue to endure significant impediments to a normal life. Among the most visible of these is the slow pace of rehabilitation and reconstruction – far too slow to address with the urgency that it deserves the damage and destruction caused during the most recent war in Gaza and years of conflict and closures. The United Nations, including UNRWA, have in place extensive plans for the reconstruction of Gaza. These plans have been paralyzed for years by the prohibition on importation of construction materials. This has had multiple negative consequences. Let me just mention here, by way of example, one impact that it has had on education: we have permission to build only a handful of the 100 new schools needed for refugees in Gaza; this year we had to turn away almost 40,000 refugee children for lack of space, and the problem will be compounded by the average annual increase of 8,000 students among the refugee population. We are forced to “double shift” almost all of our Gaza schools, administering one school in the morning and a second in the afternoon. We shall now have to start triple shifting, or create even more schools out of shipping containers.

It bears repeating here that the recent easing of the blockade is welcome. The situation, however, continues to be extremely difficult, as most materials needed for reconstruction remain subject to cumbersome import procedures and crossing points with facilities that are not yet adequate for large flows of goods. With the support of the international community and of the Palestinian Authority, the United Nations continue to negotiate approval of reconstruction projects with the Israeli authorities. Although several approvals have now been granted, and the logistical capacity is being upgraded, overall needs are far from being met, in particular for reconstruction and the private sector. While recognising Israel's legitimate security concerns, we will continue to urge the Israeli authorities to expand the range and quantity of goods for import to Gaza, while also insisting that the blockade not just be eased, but be brought to an end. However, as we do so, we should not forget that at the root of the problem are complex and unresolved political issues. Even the best logistical solution will not solve the political problems before us.

Ladies and Gentlemen,

This leads me to my concluding points. The international community bears responsibilities for refugees, whom, as persons without the protection of a state - require the protection of international law and legal norms. It is this aspect of refugee status, and our responsibility to act, that remind us that they were never meant to be alone in fending for their needs.

In my remarks so far, I have offered UNRWA's response to the question: "can we afford to leave Gaza in the margins?" I have answered "no" to this question and shown how – availing themselves of the extraordinary Palestinian resilience – UNRWA and other agencies, thanks to the support of the international community, take head-on the challenges of contributing to the well-being of the population. However, it is important to remind ourselves that while these organizations' mandate is comprehensive in the humanitarian, human

development and protection sphere, they are not the exclusive duty-bearers in relation to the people of Gaza.

The international community has contributed significantly to Gaza, and much more can (and must) be done as the blockade eases further and is hopefully lifted. But it is even more crucial to address the root cause of those needs, in particular where the needs and concerns of refugees and others intersect with the political realm and impinge on the larger questions facing Palestinians and the quest for peace.

While UNRWA, clearly, has no political mandate and is not engaged in the negotiations which will hopefully resolve both the conflict and the dispossession of the refugees, I believe that it is incumbent upon us to remind those involved in these important discussions of two important issues which, with the remainder of my time today, I would like you to consider.

The first is reconciliation among Palestinians. I am fully aware that the process of achieving reconciliation is for political actors to undertake and support. However, the healing of Palestinian rifts has implications for the well-being and future of Palestine refugees and other affected civilians in Gaza. It is from that vantage point, that I appeal for Palestinian unity to be restored. And it is from that vantage point that I ask – with a sense of urgency – that the welfare of the people of Gaza is not held hostage by politics. I would be remiss, as representative of the Palestinian refugee agency, if I did not convey to all those with a stake in regional peace this simple but clear message which our teachers, doctors and social workers hear every day as they do UNRWA's work among Gaza's communities – and indeed among all Palestinian refugee communities across the region.

The second is peace, and the refugees whose destiny is bound up in it. As refugees emerged from - and exist as a consequence of - the 1948 conflict, it stands to reason that addressing their plight is a prerequisite for resolving the

conflict. The extent to which refugee rights and choices are addressed in a negotiated settlement will affect the credibility of the settlement itself. Refugees are an essential constituency on account of the size of the population and its wide geographical distribution and significant presence in a volatile region. What is crucial to bear in mind is that – in the inevitably difficult discussions which will hopefully lead to the end of the conflict and, as part thereof, a just solution to their plight – we must ensure that refugees remain a constituency for peace and contribute constructively to the efforts to find solutions. Refugees hold a substantial stake in the Israeli-Palestinian future. Including them will ensure that the process will benefit from the wealth of insights they have to offer. This, in turn, will yield substantial advantages in enhancing the credibility and sustainability of the peace process. I will repeat this because it is important: Palestine refugees are a reality whose role and significance genuine peacemaking efforts can no longer afford to neglect.

So, Palestine refugees must not be ignored, and this goes hand in hand with the need to abandon the habit of marginalizing Gaza and keeping it in the shadows. We appeal for genuine efforts to help restore normalcy to Gaza, fully aware that the challenges are indeed daunting. The gloom surrounding Gaza may be formidable, but I ask you to join us in insisting that we have at our disposal the means to dispel it.

My call today is achievable. Let us do everything we can to give Palestinians and Palestine refugees opportunities to attain their considerable potential; the freedom to create for themselves a future of dignity and prosperity, and the liberty to make their own choices as further steps are hopefully taken towards the creation of a Palestinian state.

Thank you.